مسار البرهنة في النص الصحفي

د . صالح بن بوزة
أستاذ م . ع . إ . إ .
جامعة الجزائر

شهد ميدان الاعلام والاتصال منذ الخمسينيات من هذا القرن اهتماما متميزا بالأبحاث المتعلقة بالاتصال الاقناعي مثل أبحاث كارل هوفلاند HOVLAND التي استهدفت معرفة الأساليب التي تحدث تأثيرا أكثر من غيرها في عملية الاقناع والعوامل التي تساعد على احداث التأثير المنشود .

كما أجرى باحثون آخرون أبحاثا متعددة تناولت كيفية استخدام الاعلام في الاقناع وتغيير السلوك ومن بين هؤلاء مارتن فيشباين M.Fishbein وروزنبرغ ROSENBERG ونيوكمب NEWCOMB وفيستينجر FASTINGER .

واعتمدت تلك الدراسات أساسا على المدخل النفسي والاجتماعي . بينما تركز المدرسة التقليدية على العوامل المتعلقة بالمتغيرات المستقلة ، مثل : المصدر ، الرسالة ، الجمهور . وخلصت فيما يتعلق بالرسالة الى أن فعالية النص الصحفي مرتبطة بعدة شروط من بينها : ترتيب الأفكار والبراهين ، فاستخدام النص الصحفي لغرض الاقناع ثم التأثير وتغيير السلوك والآراء يتطلب أن يكون هذا النص مؤسسا منطقيا ومقنعا . فالصحفي يعالج ويطرح للمناقشة آراء وأفكارا وحقائق مثبتة بالنسبة له شخصيا ، أو هي جزء من قناعته . ولكن تقديم تلك القناعات والآراء بغرض البرهنة على صحتها لجماهير القراء الواسعة ، يستوجب تأسيسها وفق ثلاثة عناصر مترابطة فيما بينها وهي : الموضوعات والحجج وطريقة الربط بينها . ذلك أن قيمة وقوة منطقية النص الصحفي تعد وسيلة تأثير فعالة في عقول وأحاسيس واتجاهات القراء[1] . ضمن هذا الاطار اذن سنتناول في هذا الموضوع مسار البرهنة في النص الصحفي .

وتتنوع استراتيجيات وأساليب الاقناع تبعا لمقتضيات الموقف وأهداف الخطيب أو الصحفي .

وكانت أسواق العرب * في الجاهلية تمثل منتديات لتبادل الرأي والسجال الشفهي ، أو الكتابي عن طريق المعلقات ويجري خلالها توظيف عدة أساليب للاقناع وتفنيد مقولات القبيلة الخصم . وتتراوح بين التهويل والتخويف والصفح واصلاح ذات البين «ويظهر أن أهل البادية كانوا أمهر في هذا اللون من الخطابة من أهل الحضر لاتصال موضوعاته بحياتهم وبيئتهم»[2] .

والخطابة كشكل من أشكال الاتصال تعبر عن مستوى التطور الاجتماعي السائد آنذاك . اذ أن الاستمالات العاطفية كانت تتقدم الحجج غالبا . بحيث يتحول الخطيب الى مرسل ومتلق خاصة في موضوعات المشاركة الوجدانية[3] أما الحاضات أو المحرضات فيمكن القول أنها كانت تقتصر غالبا على موضوعات معينة مثل الاستعداد للقتال وشحذ الهمم والدفاع عن الحريم واسترداد شرف القبيلة المغتصب . ولذلك نجدها ذات شحنة عاطفية خاصة ، يتخللها الاستشهاد بالأمجاد الغابرة للقبيلة ويوظف فيها عنصر الزمن الماضي بشكل استردادي لرفع درجة التأثير والجاهزية القتالية انطلاقاً من الصور الذهنية الماضية الممتزجة بالبطولات والانتصارات الكبرى .

وشهد العصر الإسلامي كذلك هذا النوع من الخطابة ، نظرا لاستمرار الصراعات القبلية ، واعتمدت أساليب الاقناع فيها على الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث وأبيات من الشعر والحكم والأمثال .

ويبدو أن اللجوء الى المحاججة بالأبيات الشعرية كان استخدامه الأكثر من طرف الحجاج بن يوسف ، وولاة بني أمية بشكل عام[4] .

وانطلاقاً مما تقدم يتضح أن فن الخطابة أو فن الاقناع كان معروفا لدى العرب القدامى ، حتى وان كان تحت مسميات مختلفة . وبوسائل مغايرة لما نعرفه الآن .

إن اللجوء الى البرهنة أو الاثبات يعد جزءا من الحياة اليومية حيث لا تخلو صفحات أي جريدة أو حصص تلفزيونية أواذاعية من عرض للحجج ضمن المقالات الصحفية أو المقابلات مع المدعوين مثل رجال السياسة أو المؤلفين واللقطات الاعلانية[5] .

وتتوقف فعالية النص الصحفي بدرجة كبيرة على منطقية بنائه وتركيبه وتطابقه مع قوانين التفكير الانساني[6] . وهو من هذا الجانب ، ورغم اختلافه عن

النصوص الأخرى كالنص الفلسفي الا أنه من حيث البنية التحليلية وأسلوب البرهنة يبدو أنه يستمد الكثير من مقوماته في هذا المجال من نظرية البرهان .

أسس نظرية البرهان :

يتعرف الانسان في حياته اليومية على كثير من الأشياء المفردة وصفاتها بواسطة الاحساس والادراك ، مثل الشكل الهندسي لهذا البناء أو ذاك ونكهة الطعام أو طعم الدواء ، إذ أن مثل تلك الأشياء بديهية ولا تحتاج الى اثباتات .

ولكن في الحالات الأخرى يحتدم الصراع والتنافس بسبب تعارض المصالح بين طبقات وفئات المجتمع والدول ، ومن ثم تبرز القضايا الخلافية الى السطح بسبب الرغبة في السيطرة والهيمنة للاستحواذ على أكبر قدر من تلك المصالح . ويتخذ الدفاع عن المصالح شكلين رئيسيين هما :

- استخدام القوة المادية .
- اللجوء الى الحوار ومحاولة الإقناع .

ويتم توظيف الشكل الثاني في التقارير والمحاضرات والمحاكمات والمقالات الصحفية بمختلف أنواعها قصد الدفاع عن الاطروحات . ولذلك يتعين البرهان على الأحكام الواردة . اذ أن البرهنة على الأفكار تعد سمة هامة من سمات التفكير الصحيح ، حيث تمثل نظرية البرهان (الاثبات) في الظروف المعاصرة وكذلك الدحض (التفنيد) أداة لتكوين القناعات القائمة على أسس علمية واضحة[7] .

مفهوم البرهان :

يقال من الناحية اللغوية برهن : أي أقام الدليل . وبرهان جمع براهين ، وهو الحجة البينة الفاصلة . وفي الفلسفة القياس المؤلف من مقدمات يقينية ، وفي الرياضيات ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها[8] .

ويذهب الشريف قصار الى أن الفرق بين التدليل والبرهنة ، يكمن في كون الاستدلال أو التدليل بمعنى واحد ولا يراد بهما سوى المحاججة ، بينما يراد بالبرهنة التبيان والاثبات ، فما ينتج عن البرهنة انما هو اليقين المطلق بشرط أن تكون العملية مبنية على أسس سليمة «ومهما يكن من أمر فاننا نحيد عن ميدان البرهنة الخالصة

لندخل ميدانا أوسع وهو ميدان التدليل وذلك كلما فكرنا تفكيراً عقلياً في قضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وما الى ذلك ... ومهما يكن من أمر فان التدليل مثل الجدل فكلاهما لا يؤدي الى نتيجة مالم يكن هناك شيء من الأساس متفق عليه»[9] .

وعرف باحثون آخرون البرهان بأنه «جملة الأساليب المنطقية لتأسيس صحة الحكم المعنى بمساعدة الحقائق الأخرى والأحكام المتصلة بها . والبرهان وثيق الصلة بالاقناع ولكنه لا يتطابق معه . فالبراهين يجب أن تقوم على معطيات العلم والممارسة الإجتماعية - التاريخية أما القناعات فقد ترتكز الى الإيمان بما فيها الإيمان الديني أو الى جهل الناس بقضايا الاقتصاد والسياسة أو الى براهين موهومة كاذبة تستند الى مغالطات سفسطائية . ولذا فان الاقناع لا يعني البرهان»[10] .

ويمكن القول أن البرهنة أو الإثبات في القضايا الاجتماعية تبقى نسبية ، كما أن القناعات قد تتغير هي الأخرى مع مرور الزمن ، ونتيجة لتغير الشروط الموضوعية في المجتمع . ورغم ما تتميز به موضوعات العلوم التطبيقية مثل الرياضيات والفيزياء من اليقينية والاطلاقية ، الا أنها هي الأخرى قد يعتريها التغيير والتطوير نتيجة ادخال متغيرات تؤدي الى اكتشاف نظريات وقوانين جديدة .

أما ليونيل بيلنجر (Lionel Bellenger) فيعرف البرهنة انطلاقا من المدخل الوظيفي حيث يرى أن الاقناع (Convaincre, Persuader) هو ممارسة التأثير على طرف آخر لجعله يتحرك ويكون رد فعل نحو الأفكار أو الاتجاهات المعروضة عليه . كما أن الاقناع هو عملية اتصالية تهدف الى احداث تعديل في سلوك أو موقف معين في مواجهة وقائع (أحداث) أو آراء ويتعين في هذا المجال على القائم بالبرهنة أن يتعرف مقدما وبشكل جيد على الطرق النفسية المستخدمة في احداث التغييرات في الآراء أو الاتجاهات[11] .

بنية البرهان :

تتكون نظرية البرهان من ثلاثة أقسام ، هي :

- المطلوب أو الأطروحات (Thesis)
- الحجج (Arguments)
- الصورة (Démonstration)

الأطروحات :

تمثل الأحكام التي يجب البرهنة عنها وهذا من الناحية الاصطلاحية .

أما من الناحية اللغوية فاننا نجد أن كلمة أطروحة مشتقة في الأصل من الفعل طرح يطرح طرحا ، أي ألقاه ورماه ، ومنه طرح القضية للبحث ، للمناقشة والأطروحة جمع أطروحات : أي مسألة تطرح للحبث ، رسالة علمية يكتبها الطالب للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه[12] .

ويشترط في الأطروحة أن يكون لها دور في بناء المنطق الداخلي للنص ، وذات علاقة بتحقيق أهدافه ، وتظهر في النص الصحفي سواء في جملة ، أو فقرة ، كما قد تظهر بعض الأطروحات أكثر من مرة في المقال الوحد[13] .

الحجج :

تمثل الأدلة الصادقة التي تستخدم عند البرهان .

صورة البرهان :

هي طريقة الربط المنطقي بين الأحكام الواردة في الأطروحات المراد اثبات صحتها ، والحجج التي تتخذ واسطة للتوصل الى تلك الأحكام والاثباتات[14] .

ويتم التعبير عن البرهنة بعدة أدوات في مقدمتها الرموز اللغوية ولكن دون استبعاد بقية الأدوات مثل الأشكال والصور ، كما أنها تشمل العلاقات بين الأشخاص والتوجهات والاستراتيجيات مما يجعل عملية البرهنة تندرج ضمن السياق الإجتماعي الاقتصادي والسياسي والأيديولوجي . وهو ما يؤكد بالتالي أن عملية البرهنة لا تتم بمعزل عن المحيط العام أو التخصصات العلمية الأخرى . بل اننا نجدها وثيقة الصلة بالمنطق والدراسات اللغوية وأنظمة الاشارات والرموز في علوم اللسانيات وتحليل النصوص ، وتحليل الخطاب والسيميولوجيا ، وعلم النفس وعلوم الإجتماع والتربية والإتصال .

فمن وجهة النظر الإجتماعية تعد البرهنة شكلا من أشكال تقنيات التأثير ، التي يلجأ الأفراد والجماعات لاستخدامها بطرق مختلفة ، ولأهداف متعددة ، بمجرد شروعهم في ممارسة الحياة الجماعية ، وما ينجر عنها من مظاهر التعاون ، وبروز الصراعات والأزمات[15] .

وتظهر الحاجة الكبيرة الى الاستخدامات المنهجية لنظرية البرهان في مجال الاعلام . ذلك أن جوهر نظرية الاعلام يتمثل في نقل الرسائل بين المرسل والمتلقى وتحوي تلك الرسائل عناصر مضمونية هدفها خلق أو تدعيم القناعات والمواقف . ذلك أنها الى جانب كونها تستهدف الأخبار أو الاطلاع لاغناء الجانب المعرفي لدى المستقبل ، فهي ترمي أيضا لاحداث التأثير والاقناع لمن توجه لهم[16] .

ان اثبات موضوعات الأطروحات الواردة في المقال الصحفي يتطلب أن يكون الانتقال من فكرة الى أخرى مصحوبا أيضا بانتقال انتباه القراء ويتم ذلك باستخدام أساليب وطرق عديدة تنظم مادة النص الصحفي بصورة منطقية ومقنعة . ونجد من بين تلك الأساليب ما يلي :

المنهج الاستدلالي :

وهو عبارة عن التدرج في تنظيم تسلسل الأفكار وسيرها من العام الى الخاص الفردي ، أي من أوضاع وحقائق عامة الى جزئيات تعكس أوضاعا خاصة «فالصحفي يجب أن يستعمل هذا المنهج في دراسة الأحداث والظواهر الاجتماعية عندما يكون معروفا لديه قوانينها وبديهياتها العامة . فيبين خاصية عناصرها ، فالمنهج الاستدلالي يساعد جماهير القراء على فهم ظواهر وأحداث الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الملموسة وعادة يستعمل هذا المنهج لشرح القضايا المعقدة وغير المعروفة لجماهير القراء»[17] .

المنهج الاستقرائي :

تتم فيه عملية سير الأفكار والآراء من الخاص الى العام ، وهو وسيلة هامة للكشف عن الصلات والعلاقات السببية . وهذا المنهج في الكتابة الصحفية مقنع وبسيط ومفهوم أيضا ، حيث أنه يسمح بمشاركة القراء النشطة في مناقشة الآراء الواردة في النص الصحفي ، ومن ثمة التوصل الى الاستنتاج العام . غير أن استخدام هذا المنهج مع ذلك يتطلب تحضيرا كافيا ، خاصة فيما يتعلق باختيار الحقائق والوقائع الجزئية التي سيبنى عليها النص . ومن هنا يتعين تدعيمه ، بأساليب أخرى مكملة مثل التحليل والتركيب .

المنهج القياسي :

وهو يقوم على استنتاج التشابه بين ظاهرتين انطلاقا من وجود نشابه أو أكثر بينهما . ويسمح استخدام هذا المنهج في النص الصحفي بشرح الأحداث والظواهر الاجتماعية بشكل أوضح ومؤثر في عقول القراء ويحرك شعورهم . وذلك لأن توظيف هذا المنهج يمكن من «عرض ورواية مواد النص الصحفي بشكل يوجه تفكير جماهير القراء ويقودهم الى الاستنتاج عن طريق التشابه القياسي»[18] .

كما أنه وفي اطار المنهج القياسي أيضا يتم عادة اللجوء الى استخدام طريقة التباين التي تعتمد على المقارنة بين حدثين أو رأيين متناقضين قصد تفنيد أطروحة الخصم واثبات الرأي المخالف لها .

إن هذه المناهج تعمل بشكل مترابط فيما بينها وبالاضافة الى ذلك فان هناك عددا من قوانين المنطق الشكلي يمكن تطبيقها واستعمالها في النص الصحفي لزيادة فعاليته ، وهي :

قانون التحديد : ويعني ضرورة الالتزام بالدقة والوضوح في بناء النص الصحفي .

قانون التطابق : وهو يتطلب أن تكون كل فكرة أو رأي في عملية الجدل والنقاش للقضايا المعروضة لها نفس المعنى أو المدلول مهما تكررت في النص .

قانون عدم التناقض : إن هذا القانون يتطلب من الصحفي عندما يعالج قضية معينة ، أن تكون اجابته عنها واحدة سواء بالنفي أو الاثبات .

قانون استبعاد الثالث : يفترض هذا القانون وجود فكرتين أو وجهتي نظر متناقضتين ، أحداهما صحيحة والأخرى خاطئة . ومن ثم لا وجود لفكرة ثالثة واحتمال وسطي فالمتناقضات لا يوجد بينها وسط فاما خاطىء أو صحيح . ويضمن استخدام هذا القانون في مناقشة القضايا مبدئية التفكير والطرح في نص المقال الصحفي[18] .

ويساهم توظيف القوانين السابقة في تأسيس أطروحات المقال الصحفي . وهذا التأسيس أو الاثبات يعتبر أحد قوانين المنطق الذي ينص على أن «كل فكرة صحيحة يجب أن تكون معللة ومبرهنة بالحقائق والحجج الواقعية التي أثبتت بالتجربة العملية والممارسة ،، فالصحفي مدعو لاثبات نصه وتأسيسه ليس لنفسه شخصيا وانما لجماهير القراء لأنه الكاتب يعالج ويطرح أفكاراً وآراء وحقائق مثبتة بالنسبة له شخصياً أو

هي جزء من قناعته . ولكن المقصود هنا اثبات النص وتعليله لجماهير القراء الواسعة»[20] .

أنواع البرهان :

تنقسم البراهين من حيث الشكل الذي تظهر به الى برهان مباشر وبرهان غير مباشر . ففي البرهان المباشر يتم ترتيب الأفكار والآراء التي تحتويها الحجج ، بحيث تؤدي الى اثبات صحة الأطروحة أو الأطروحات التي يتضمنها المقال . بمعنى أن صحة الأطروحة تستند مباشرة الى الحجج .

أما البرهان غير المباشر فهو الذي تعتمد فيه صحة الأطروحة على طريق اثبات كذب نقضيها (Antithesis) ويتم اللجوء إليه عند فقدان الحجج[21] .

ويتم اثبات نقيض الأطروحة بعدة أشكال وذلك في اطار ما يعرف بطرق الدحض أو التفنيد .

مفهوم الدحض (التفنيد) :

يعرف التفنيد أو النقض بأنه «عملية منطقية ، تهدف الى نسف البرهان عن طريق اثبات كذب الأطروحة المعنية أو كونها غير مبرهنة ، والحكم الذي ينبغي تفنيده يدعى موضوع (المطلوب) التفنيد (Thésis) والأحكام التي بواسطتها يفند هذا الموضوع تدعى حجج التفنيد»[22] .

ويذهب بيار أوليرون (Pierre Oléron) الى أن تفنيد مقولات وأطروحات الخصم تطرح عدة اشكالات . في مقدمتها ضرورة تحديده والتعريف به لدى القارىء . وكذلك ايراد وجهات نظره . غير أن ذلك قد يشكل خطراً ، إذ قد تبدو مقبولة لدى القارىء ومن ثم فقد يتبناها ولذلك يتعين توخي الحذر وهذا بالاعتماد على الحد الأدنى الممكن فقط من الاشارة الى وجهات نظر الطرف الخصم ، وبالأخص فيما يتعلق بتقديم مواقفه وكأنها موضوعية . وفي نفس الوقت فان ممارسة الصمت أو التعتيم المطلق على أطروحات الخصم – خاصة عندما يتعلق الأمر بالقضايا التي تشغل بال الرأي العام ومناقشاته اليومية – قد تفسر على أنها ضعف وعدم القدرة على التصدي للأطروحات المناقضة[23] .

إن هذا الاستدراك يدعم وجهة النظر القائلة بأن عالم اليوم أصبح «قرية اعلامية» . حيث أصبح من غير الممكن فيه الاستمرار في سياسة اخفاء الحقائق بالشكل الذي كانت تمارس به من قبل . فالصحف الدولية والرسائل الملتقطة عبر الارسال التلفزيوني المباشر ، وكثرة الاذاعات الخارجية الموجهة لم تعد لتسمح بممارسة سياسة حجب الحقائق والتعتيم عن آراء الآخرين . ولكنه في ظل التدفق الاعلامي الرأسي من الشمال الى الجنوب وعدم امكانية تطبيق اتفاقيات حق الرد ، يصبح العالم الثالث هو الضحية الأولى والأخيرة لأطروحات الاعلام الغربي ، التي تعكس في النهاية قيما وأوضاعا اجتماعية مختلفة عما هو موجود في دول الجنوب .

ويرى الشريف قصار من جهته أن المقصود بالدحض ينسحب على «مجموعة البراهين التي نستند اليها قصد رد فكرة أو نظرية أو مشروع ، قصد تفنيد رأي وما الى ذلك وابطاله بحجج ثابتة . لكن هذا الرد قد يمس ناحية من الفكرة أو النظرية دون الأخرى ، وقد يشمل كلا منهما . إنه قد يكون سلبيا أو ايجابيا سلبيا عندما نرفض رفضا كليا هذه الفكرة أو هذا المشروع»[24] .

أساليب التفنيد :

هناك عدة جوانب تاكتيكية يجب مراعاتها عند التصدي لتفنيد أطروحات الخصم . فالمساحة أو كمية الوقت المسموح به عادة لاتترك المجال لايراد جميع الحجج والآراء المناقضة لأطروحات الخصم . ولذلك يتعين اختيار أهم وأقوى الحجج الدامغة . وتنطبق كذلك المحددات الخاصة بالمجالات الأخرى في الحياة اليومية على ممارسة الدحض . حيث من غير اللائق أن نقول أو أن نكتب كل ما نعرفه . فليس من مصلحة القائم بالتفنيد أن يكشف عن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء وجهة نظره . إذ عليه في المقام الأول أن يتولى اضفاء المشروعية عليها من خلال عرضه للأسباب الموضوعية . كما يجب علينا في كل الحالات أن نأخذ قدرات وامكانيات الطرف المقابل (الخصم) بعين الاعتبار . وينصب موضوع التفنيد اما على دحض أطروحات الخصم أو حججها[25] .

ويرى باحثون آخرون أن هناك ثلاثة أساليب متبعة في التفنيد وهي :

تفنيد الموضوع (Thésis) : ويتم بثلاثة طرق :

1 - التفنيد بالوقائع : وذلك بايراد الأحداث والظواهر الواقعية والمعطيات

الإحصائية ونتائج التجارب والافادات والمعطيات العلمية التي تتناقض مع أطروحة الطرف الخصم .

2 - اثبات خطأ نتائج أطروحة الطرف الخصم : وذلك باثبات أنه لا علاقة سببية بين المنطلقات الأساسية للأطروحة ، والنتائج المترتبة عنها .

3 - اثبات نقيض الموضوع أو الأطروحة (Antithésis) وذلك بتفنيد الحجج والقضاء على حتمية التلازم بين وجود ظواهر أو احداث جزئية وامكانية استخلاص التعميم منها .

تفنيد الحجج : وذلك بتبيان بطلانها وضعفها وعدم استنادها الى وقائع محددة وواضحة .

تفنيد طريقة البرهة (Démonstration) : وتتم هذه الطريقة مثلا بابراز الأخطاء في انتقاء الحجج وضعف علاقتها بموضوع الأطروحة والتسرع في التعميم . وتجدر الاشارة الى أن هذه الطرق تستخدم مجتمعة»[26] .

ويقترح الشريف قصار من جهته أربعة مستويات للتعامل مع أطروحات الطرف الخصم ، وهي على التوالي :[27]

المستوى الأول : ويتميز بما يلي :

1 - التذكير بنظرية الخصم .

2 - الاستدلال عن نظريتنا أو أطروحتنا .

المستوى الثاني : ونتبع فيه الخطوات التالية :

1 - دحض نظرية الخصم .

2 - التدليل على نظريتنا .

المستوى الثالث : ويتخذ الشكل التالي :

1 - نقد نظرية الخصم .

أ - التساهل .

ب - الدحض .

2 - التدليل على نظريتنا .

المستوى الرابع : وهو على الشكل التالي :

1 - الاستدلال .

2 - الدحض لأطروحة الخصم .

ويلاحظ أن الطرق الأربعة تنطلق من فكرة أساسية مؤداها رفض ما يقدم لنا أو ابداء بعض التساهل تجاهه في البداية على سبيل الاستدراج ثم استبداله باقتراح أو موقف مضاد وذلك بتبيان بطلانه . فالنص يتنازعه اتجاهان متلازمان الأول يقدم موقف الدحض ، والثاني يعني بالاقتراح الجديد وكلما كان تفنيد أطروحات الطرف الخصم مبنيا على مجرد أوصاف أو تعابير انشائية وتعليلات ، كان عاطفي المصدر . وفي هذه الحالة يصبح أقرب الى مجرد سرد للانطباعات وليس التحليل . وهو ما يجعله بالتالي بعيدا عن منطق البرهنة[28] .

ويذهب عدنان أبو فخر في نفس الاتجاه تقريبا حيث يؤكد أنه يجب على الصحفي الذي يتصدى للكتابة في الموضوعات المتعلقة بالرأي والاقناع ، أن يكتب باختصار ، على أن يختار الحجج الأكثر اقناعا ووضوحا قصد اثبات الأطروحات الواردة في نصه ، ذلك لأن النص الصحفي لا يمكن أن يكون فعالا ومقنعا ومنطقيا اذا كان ضعيف الحجج والبراهين[29] .

كما أن الرغبة في اثبات بعض الأفكار والقضايا الواردة في النص الصحفي ، بغرض اقناع جماهير القراء بها يتطلب من الصحفي اتباع عدة طرق منها :

- دحض الأطروحات الخاطئة بتوظيف الحقائق والمعطيات والحجج .
- انتقاد حجج الخصم وادعاءاته .
- توجيه ضربة لنظام الاثبات والتعليل الذي يتبعه الخصم وتبيان أخطائه .
- تفنيد وشرح النتائج الفارغة ، الناتجة عن الأطروحات الخاطئة للطرف الخصم ، والسعي الى تعبئة جماهير القراء ضدها واقناعها بعدم صحتها واثارة سخريتها التي تلحق الهزيمة بأطروحات الطرف الخصم[30] .

وترتكز تقنية البرهنة في اثبات صحة أطروحة ما أو دحضها على عدة أشكال من الاستدلال مثل التشبيه والبحث عن العلاقات السببية بين العلة والمعلول والنتيجة والاستشهاد بشخصيات من ذوي المراكز والنفوذ والشهرة وكذلك التركيز على ابراز التناقض في أطروحات الطرف الخصم وعدم فعاليتها . والتعميم انطلاقا من جزئيات بسيطة والمبالغة في أخطاء الطرف الآخر[31] .

دور المصادر المرجعية في البرهنة :

ثمة أنواع متعددة من الحجج التي تشكل النسق الاستدلالي في عملية البرهنة . ويمكن تصنيفها حسب مصادرها على النحو التالي :

1 - **حجج الوقائع الفردية اليقينية** (Facts) : وتضم ما يعرف بالمواد الوقائعية مثل المعطيات الاحصائية حول السكان ، وحجم مساحة الدولة ، والوثائق والوقائع العلمية . وهذه الوقائع لابد أن تؤخذ في اطار سياقها . أما اذا استخدمت بشكل مجزأ واعتباطي فانها ستصبح مجرد لعبة وذات وظيفة تظليلية .

2 - **تعاريف المفاهيم** : حيث يعتد بها كحجج أثناء عملية البرهنة وتتنوع كثيرا تبعا لميادين النشاط والتخصص مثل التعاريف المستخدمة في الرياضيات والفيزياء والجغرافيا .

3 - **المسلمات** (Axioms) : ونجدها عادة في الرياضيات والميكانيكا والعلوم الأخرى ، وتتمثل في الأحكام والقوانين التي تستخدم بمثابة حجج أثبتتها التجربة[32] ، على مر القرون .

4 - **الاستشهادات** : وتظهر في النص الصحفي في شكل الاقتباسات المأخوذة من أقوال ومصادر مشهورة ومعروفة ، كالخطب والكتب والوثائق والتصريحات . بحيث تتفق مع موضوع النص الصحفي وتساهم في اثباته وتعليله . ويتطلب الأمر هنا اتقان استعمال هذه الحقائق والاستشهاد بها بشكل صحيح . وهذه الاستشهادات قد تكون منقولة ومنسوبة الى الطرف الخصم . ويتم توظيفها بهدف اثبات عدم صحة مواقفه وأطروحاته السياسية[33] .

5 - **الشعارات والمفاهيم** : تمثل المقولات العامة احدى الأدوات التي يلجأ اليها القائم بالبرهنة سواء لاصدار أحكام أو لتوجيه أنظار الخصم . «فهي بمثابة جمل تشبه

الأضواء الكاشفة للسيارة ، هدفها الانارة أو ايقاف الطرف الخصم»[34] ، ويتم اللجوء الى الشعارات لتفادي القيام بالبرهنة أو الاثبات ومن أمثلتها «الرياضة هي الصحة»[35] .

وتجدر الاشارة هنا الى أنه قد يتم استخدام الشعارات أيضا لتدعيم موقف ما . ولذلك فان اللجوء اليها في مثل تلك الحالات لا يعبر عن عجز في منظومة الاستدلال أو عجز في تقديم الحقائق والوقائع الأخرى . التي تشكل خلفية تفسيرية لهذه القضية أو تلك .

أما المفاهيم فهي عادة ما تعبر عن أحكام قيمية مجردة وعالمية مثل : العدالة والحرية ، والسيادة والقانون ، الاستقلال ، والى جانب ذلك يتم استخدام مفاهيم أخرى تختلف تبعا للنظام السياسي والقناعات والمواقف الأيديولوجية وتظهر في شكل تقويمات مثل : النازي ، الرومانسي .[36] .

ويظهر من الممارسات الواقعية في عالمنا المعاصر تقلص حدود استخدامات القيم الإنسانية والعالمية ، حيث أنه وتحت ضغط مفاهيم المصالح الحيوية والاستراتيجيات الكونية والتكتلات أصبح مثلا مصطلح السيادة بالنسبة لأغلب دول العالم الثالث مفرغا من محتواه الحقيقي نتيجة التبعية المتكاملة للنظام الرأسمالي العالمي بقيادة الدول الغربية .

6 - **منظومة الاشارات اللغوية :** تلعب اللغة المستخدمة دورا في صياغة الأفكار والأطروحات أثناء عملية البرهنة وتضفي قوة الأسلوب وفعالية اللغة المستخدمة قوة الى النص . ولذلك يتم اللجوء عادة في هذا المجال الى استخدام التراكيب النحوية البسيطة والجمل القصيرة واستعمال صيغة الزمن الحاضر مما يكسب الأفكار حيوية وقوة .

كما أن اللجوء الى تكرار بعض الكلمات المفتاحية (Mots-clefs) (الرئيسية) أو الشعارات يساعد على تشكيل أو قولبة الذاكرة مما يمكن من التوصل الى احداث الاقناع ، لكنه قد يحدث أيضا رد فعل له اثر عكسي ، بالرفض . ومن هنا فان اختيار الرموز اللغوية من كلمات وأدوات للربط بين الجمل والفقرات ليست عملية بريئة في مجال البرهنة ، حيث وجد في احدى الدراسات أن قاموس اللغة السياسية لدى الجنرال دوغول ، يتكون أساسا من ست عشرة (16) كلمة ، وهي : فرنسا

- الفرنسيين - البلد - الجمهورية - الدولة - العالم - وطن - شعب - خطأ - يمكن - يقول (يعني) - الأمة - التقدم - الوقت - الحياة - جماعياً[37] .

ويبدو من ذلك أن دراسة الحقول المرجعية للنص ، تدخل ضمن المناهج الفرعية المستوحاة من الألسنية (Linguistique) . وهي تستهدف «دراسة النص ، وتتنوع هذه الأطر المرجعية ما بين أسماء علم مواقع جغرافية أو تاريخية أو حقب تاريخية معينة ، أو دلالات مرجعية دينية .

أما الباحثة مارلين نصر فقد استخدمت مصطلح «المقاربة» كدلالة على الأسلوب الذي تتم بواسطته دراسة الحقول المرجعية . وتتكون هذه الحقول من كل المراجع الواردة في النص . وهي على نوعين : أسماء العلم مثل : الأفعاني ، أمريكا ، الميثاق الوطني ، الجامعة العربية . والمراجع الأخرى مثل الاستشهاد بالتاريخ القديم والحديث والمعاصر[38] .

ويرى سمير محمد حسين من جهته أن المصادر المرجعية للنص انما تتحدد وتظهر من خلال الفئات التالية :

- فئة الممثل (Actor) : حيث تكشف عن الشخص أو المجموعة التي تظهر في موقع قيادي محرك وصانع للأحداث .

- فئة مصدر المعلومة : وتظهر في صورة أشخاص أو صحف أو غيرها من المصادر غير الشخصية .

- فئة منشأ المعلومة (Origin) : وهي ذات علاقة وطيدة بالفئة السابقة . وتساعد في اضفاء الشمولية على عملية التحليل . حيث تكشف للباحث عن بعض الجوانب بشأن اتجاه المعلومة ، ومدى صدقها ، وكذلك مدى امكانية تعميمها كما أنها تساعد أيضاً على التعرف عن التصنيف الجغرافي للاهتمامات ومحاور التركيز في المضمون الاعلامي للنص الصحفي موضع التحليل[39] .

ويذهب باحثون آخرون في مجال تصنيف المصادر المرجعية للنص الى اعتماد تقسيمات من نوع آخر ، وهي :

☆ مرجعية نظرية : وهي تتضمن على وجه الخصوص ، أسماء الأشخاص ومدونات الأحوال الشخصية ، والوثائق العامة والإحصائيات ، والتعبيرات الشعبية والأبحاث الميدانية التي تعتمد المقابلة كأساس لجمع المعلومات .

☆ مرجعية عربية إسلامية : تتمثل مصادرها الإسلامية في القرآن والسنة ، وأمهات الكتب العربية مثل صحيح البخاري ومؤلفات الكتاب المحدثين مثل سعد الدين إبراهيم .

☆ مرجعية غربية : وتتضمن مجموعة المصادر التي تنتمي الى تيارات مختلفة مثل ماركس ودور كايم وماكس فيبر[40] .

غير أنه يبدو في الواقع ومن خلال المقارنة مع أسس نظرية البرهان التي سبق ذكرها أن دراسة المصادر المرجعية ، سواء بغرض التعرف عليها بحد ذاتها أو بهدف معرفة شبكة العلاقات الدلالية التي تربطها بالسياق العام للنص ، يمكن تصنيفها كجزء من نظرية البرهان وعلم المنطق بشكل عام ، والذي يرتبط هو الآخر بشكل قوي بعلم الدلالة (Semiologie) ومنهج احصاء المفردات (Léxicometrie) الذي قام بتطويره مركز الأبحاث بسان كلو Saint Cloud بفرنسا .

المراجع

(1) عدنان أبو فخر ، فعالية النص الصحفي ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار الجيل ، 1982 ، ص 57 .

(2) محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي : مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول نموذجا ، سلسلة الدراسات النقدية ، رقم 5 الطبعة الأولى ، الدار البيضاء : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1986 ، ص 64 .

(3) المرجع السابق ،ص 65 .

(4) المرجع السابق ، ص 66 .

(5) Pièrre Oléron, L'argumentation. que sais-je? No, 2087, (Paris : P.U.F., 1987) P.3

(6) عدنان أبو فخر ، المرجع السابق ، ص 61 .

(7) ألكساندرا غيتانوفا ، علم المنطق ، ترجمة : دار التقدم ، موسكو : دار التقدم ، 1989 ص 280 .

(8) محي الدين صابر (تقديم) ، المعجم العربي الأساسي تونس (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1989) ص 151 .

(9) الشريف قصار ، تقنيات التعبير الكتابي والشفوي ، الجزء الثاني الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1990 ص 58 – 59 .

(10) ألكساندرا غيتانوفا المرجع السابق ، ص 281 .

(11) Lionel Bellenger, L'argumentation : Principes et méthodes, 2eme éditioin. (Paris : Edition E.S.F. 1984) P.74

(12) محي الدين صابر ، المرجع السابق ،ص 789 .

(13) محمد علي محمود شومان ، تطور فكرة القومية العربية في الصحافة المصرية 1924 – 1952 رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاعلام : جامعة القاهرة 1990 ، ص33 – 34 .

(14) ألكساندرا غيتانوفا ، المرجع السابق ، ص 281 .

(15) Pièrre Oléron. OP. Cit., P.20

(16) Ibid, PP. 22-23

(17) عدنان أبو فخر ، المرجع السابق ، ص 62 – 63 .

(18) المرجع السابق ، ص 62 – 65 .

(19) المرجع السابق 66 – 68 .

أنظر أيضا : Lionel Bellenger, OP Cit., PP. 32,51,54

(20) عدنان أبوفخر ، المرجع السابق ، 68 – 70 .

(21) ألكساندرا غيتانوفا ، المرجع السابق ، 283 – 284 .

(22) المرجع السابق ، 286 .

(23) Pièrre Oléron. OP. Cit., PP 122-113

أنظر أيضا في هذا المجال :

Lionel Bellenger ,OP. Cit., P 79

(24) الشريف قصار ، المرجع السابق ، ص 60 .

(25) Pièrre Oléron. OP. Cit., P 112

(26) ألكساندرا غيتانوفا ، المرجع السابق ، ص 286 – 289 .

(27) الشريف قصار ، المرجع السابق ، ص 56 – 57 .

أنظر أيضا Lionel Bellenger, OP. Cit., P 80

(28) الشريف قصار ، المرجع السابق ، ص 60 .

(29) عدنان أبو فخر ، المرجع السابق ، ص 71 .

(30) المرجع السابق ، ص 72 .

(31) Lionel Bellenger, OP. cit.,, PP. 63,66

أنظر أيضا : الشريف قصار ، المرجع السابق ، ص 61 – 68 .

(32) ألكساندرا غيتانوفا ، المرجع السابق ، ص 281 – 282 .

(33) عدنان أبو فخر ، المرجع السابق ، ص 72 – 73 .

أنظر أيضا : Pièrre Oléron.OP. Cit., PP 72-76

(34) Lionel Bellenger ,OP. Cit., P 38

(35) Loc. Cit.

(36) Ibid, PP. 55-56, 72

(37) Ibid, PP. 77-82

(38) مارلين نصر ، التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر : 1952 – 1972 . بيروت : م.د.و.ع ، 1983 . المرجع السابق ، ص 52 – 53 .

(39) سمير محمد حسين ، تطبيقات في مناهج البحث العلمي : بحوث الاعلام ، الطبعة الثانية (القاهرة : عالم الكتب ، 1991) ص 257 .

(40) أحمد شراك ، الخطاب النسائي في المغرب : نموذج فاطمة المرتيسي ، الطبعة الأولى (الدار البيضاء : افريقا الشرق ، 1990) ص 22 – 24 .

☆ للمزيد من معرفة التفاصيل سواء بخصوص الجوانب التطبيقية لنظرية البرهان في النص الصحفي وكذلك المراجع والمصادر الأخرى التي تناولت هذا الموضوع ، أنظر رسالتي للدكتوراه : السياسة الاعلامية الجزائرية 1962 – 1988 مع دراسة تحليلية للأخبار الخارجية في جريدتي «الشعب» و «المجاهد» ، الجزائر : معهد علوم الاعلام والاتصال ، جامعة الجزائر . 1993 .